مسألة في الرؤية

لبيد فأما قوله من هداه اهتدى ومن شاء أضل فيحتمل ان يكون مصروفا الى بعض الوجوه التي يتأول عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب لبيد في الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا يتأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه مسألة

اعلم ان اصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله تعالى بقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وبينوا انه تعالى تمدح بنفي الادراك بالبصر الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون في ثبوت الرؤية له في وقت من الاوقات نقص وذم قال لهم مخالفوهم كيف يتمدح بانه لا يرى وقد يشاركه في نفي الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدومات والارادات والاعتقادات فقالوا لهم لم يتمدح تعالى بنفي الرؤية فقط وانما تمدح بنفي الرؤية عنه واثباتها له فتمدح بمجموع الامرين وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات على ضروب منها ما لا يرى ولا يرى كالاعتقادات والارادات ومنها ما يرى ولا يرى كالالوان ومنها ما يرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس فيها ما يرى ولا يرى فثبت المدحة لله تعالى بتضمن الآية فقال لهم المخالفون وكيف يجوز ان يكون صفة لا تقتضي المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوزن ان يتمدح متمدح بانه شيء عالم او موجود قادر فاذا كان لا مدحة في وصف الذات بانها شيء وموجود وان انضمت الى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فكذلك لا مدحة في نفي الرؤية عمن ثبت له من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فاجاب اصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس بممتنع في الصفة ان يكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم فان نفي السنة والنوم ههنا انما يكون مدحا اذا انتفى عمن هو بصفة الاحياء وان كان بانفراده لا يقتضي مدحا لمشاركة ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالشيء والوجود وبين ما ذكروا من حيث لا تأثير لهاتين الصفتين في المدح واعلم ان صفات المدح المتضمنة للاثبات ما تكاد تفتقر الى شرط في كونها مدحا وصفات النفي اذا كانت مدحا فلا بد فيها من شرط وانما افترق الامران من حيث كان النفي اعم من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات اشد اختصاصا الا ترى ان ما ليس بعالم من الذوات وليس بموجود اكثر مما يثبت له العلم والوجود منها لان الاول لا يكون الا غير متناه

والثاني

والثاني لا بد ان يكون متناهيا فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط يخصصها وانت اذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يتمدح بها وجدتها مفتقرة الى الشروط الا ترى ان من ليس بجاهل انما يكون ممدوحا بهذا النفي اذا كان حيا ذاكرا لانه قد يكون الحي لا عالما ولا جاهلا لسهو يلحقه وذهول يعتريه ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحا ايضا اذا كان موجودا حيا ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحا اذا كان قادرا على الظلم وله دواع اليه ولا بد في الشرط الذي يحتاج اليه في صفات النفي حتى يكون ممدوحا ان يكون ايضا اثباتا او جاريا مجرى الاثبات ولا يكون نفيا لانه ان كان نفيا لم يخصص وساوى فيه الممدوح ما ليس بممدوح مثال ذلك بانا اذا مدحنا غيرنا بانه لا يظلم وشرطنا في هذه المدحة انه لم يدع داع الى الظلم لم تحصل المدحة لانه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ما ليس بممدوح فلا بد من شرط يجري مجرى الاثبات وهو ان نقول وهو ممن يدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب دواعيه فاذا صحت هذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدحة في الآية انما تتعلق بنفي الادراك عن القديم تعالى لكن بشرط ان يكون مدركا ويجعل كل واحدة من الصفتين تقتضي المدح مجتمعا مع ان كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد وليس بمنكر ان يقتضي الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى واذا لم يحصل لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم عن الله تعالى انما كان مدحا بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص في هذا الموضع اولى واحسم للشبهة مما تقدم ذكره مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل فقال ما تقولون في قوله تعالى حكاية عن موسى عم فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وقال في موضع آخر وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى والثعبان هو الحية العظيمة الخلقة والجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان يكون العصا في حال واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها وباي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام الجواب اول ما نقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبرا عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان فالحال الذي اخبر عن العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى عم الى فرعون والحال التي صارت العصا عليها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك واذا اختلفت القصتان فلا مسألة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن هذا السؤال اما لظنهم ان القصة واحدة او لاعتقادهم ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالين

مسألة في العصا وكونها ثعبانا وجانا

في سورة الاعراف والشعراء

في سورة القصص

Copyright ... University